

مصطفى بن بولعيد بين المتخيل الفيلمي والسيرة الثورية

د. خديجة بومسلوك

مختبر بحث الجماليات البصرية في الممارسات الفنية الجزائرية

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم

ملخص الدراسة:

تمثل هذه المداخلة محاولة للكشف عن المقاربة السينمائية لشخصية مصطفى بن بولعيد في الفيلم الثوري لـ أحمد راشدي، وذلك عبر رصد محطات السيرة الذاتية في علاقتها مع المتخيل الفيلمي في جدل بين واقع الشخصية الثورية وثنائية الصورة السينمائية.

الكلمات المفتاحية: فيلم ثوري - سيرة ذاتية - مصطفى بن بولعيد - أحمد راشدي - شخصية سينمائية - متخيل فيلمي.

Résumé :

Cette intervention tente de révéler l'approche cinématographique du personnage de Mustafa Ben Boulaid dans le film révolutionnaire d'Achmed Rachdi à travers le suivi des étapes biographique de ce personnage par rapport à l'imaginaire filmique. Cette relation est une controverse entre la réalité de la personnalité révolutionnaire et l'image révolutionnaire du cinéma.

Mots clés : biographique révolutionnaire, Mustafa Ben Boulaid, Achmed Rachdi, personnage cinématographique, imaginaire filmique.

السيرة النضالية للشهيد مصطفى بن بولعيد:

يعتبر الشهيد مصطفى بن بولعيد من بين الشخصيات الثورية الفاعلة إبان الثورة التحريرية الجزائرية إذ لقب بـ "أسد الأوراس"، فقد أثبت جدارته كقائد عسكري في مواجهة الاستعمار الفرنسي، كما أنه قائد سياسي محنك أحسن التخطيط والتنظيم والتعبئة لإملاكه رؤية واضحة في العمل الثوري. وكان يمتلك وعيا نقابيا حيث أسس نقابة وترأسها عند سفره إلى فرنسا للدفاع عن حقوق العمال الجزائريين الذين كانوا يعانون الظلم والتعسف والحرمان. وكان مدركا للبعد الدولي لقضيته الجزائرية ومطلعا على القوانين الدولية والاتفاقيات الخاصة بأسرى الحرب حيث راسل رؤساء الدول عن أوضاع المسجونين الجزائريين وشنّ مع مجموعة من رفقاءه الإضراب عن الطعام عندما كان سجيناً.

في بداية 1939 استدعي بن بولعيد لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية وتمّ تسريحه في 1942 نتيجة الجروح التي أصيب بها ثم تمّ تجنيده ثانية ما بين 1943-1944 بخنثلة. وبعد تسريحه نهائياً برتبة مساعد عاد إلى الحياة المدنية وتحصل على رخصة لاستغلال خط نقل بواسطة الحافلات يربط بين مسقط رأسه أريس بباتنة. وفي هذه الأثناء انخرط في صفوف حزب الشعب حركة انتصار الحريات الديمقراطية تحت قيادة مسعود بلعقون، وقد عرف بالقدرة الكبيرة على التنظيم والنشاط مما دفع بالحزب إلى ترشيحه لانتخابات المجلس الجزائري في 4-04-1948 والتي فاز بالدور الأول منها، لكن الإدارة الفرنسية لجأت إلى التزوير كعادتها لتزكية أحد الموالين لسياستها. وقد تعرض بن بولعيد إلى محاولتي اغتيال من تدبير العدو وذلك في 1949 و1950⁽¹⁾.

انضمّ إلى المنظمة السرية بمنطقة الأوراس كما كان من الرواد الأوائل الذين كلفوا بمهمة تكوين نواة هذه المنظمة، والتي ضمت آنذاك خمسة خلايا نشيطة واختيار العناصر القادرة على جمع الأسلحة والتدريب عليها، وكذا تدبر إمكانية إدخال الأسلحة عن طريق الصحراء. وبعد اكتشاف المنظمة السرية من قبل السلطات الاستعمارية في مارس 1950، أخذ بن بولعيد على عاتقه التكفل بايواء بعض المناضلين المطاردين وإخفائهم عن الأجهزة الأمنية، وقد أعقب اكتشاف المنظمة حملة واسعة من عمليات التمشيط والاعتقال والمداهمات بمنطقة الأوراس، غير أن بن بولعيد تمكن من الإبقاء على المنظمة الخاصة واستمرارها في النشاط على مستوى المنطقة. وبالموازاة مع هذا النشاط المكثف بذل كل ما في وسعه من أجل احتواء الأزمة بصفته عضوا قياديا في اللجنة المركزية للحزب. وقد كلف في أكتوبر 1953 وبتدعيم من نشاطه LOS بالاتصال بزعيم الحزب مصالي الحاج(*) الذي كان قد نفي في 14 ماي 1954 إلى فرنسا ووضع تحت الإقامة الجبرية، وذلك في محاولة لإيجاد حل وسطي يرضي المركزيين والمصاليين. وبعد ذلك توصل أنصار العمل الثوري المسلح وفي طليعتهم بن

بولعيد إلى فكرة إنشاء «اللجنة الثورية للوحدة والعمل» والإعلان عنها في 06 مارس 1954 من أجل توحيد العمل والالتفاف حول فكرة العمل الثوري. وبعد عدة اتصالات مع بقايا التنظيم السري LOS تمّ عقد اللقاء التاريخي لمجموعة الـ22 في 24 جوان 1954 الذي حسم الموقف لصالح تفجير الثورة المسلحة. ونظرا للمكانة التي كان يحظى بها **بن بولعيد** فقد أسندت إليه بالإجماع رئاسة اللقاء، مع تعيينه على رأس المنطقة الأولى: الأوراس، وكذا تعيينه ضمن مجموعة الستة المكلفة بإعداد بيان 1 نوفمبر⁽²⁾.

وأكتفي بهذا القدر من سرد السيرة النضالية لهذا الشهيد قبل تفجير ثورة 1954، التي تناول فيلم **أحمد راشدي**^(*) أهم محطاتها، ذلك أن النشاط الثوري لهذا البطل كان قصيرا بقصر عمره الثوري الذي لم يتعد العام والنصف حيث استشهد في مارس 1956، وقد قضى أغلب هذه الفترة في السجن.

البطاقة التقنية للفيلم:



ملصقة الفيلم

الصنف: روائي.

المخرج: أحمد راشدي.

سيناريو : الصادق بخوش.

الإنتاج: وزارة المجاهدين، مؤسسة ميسان بلقيس فيلم، مؤسسة التلفزة الجزائرية.

البطولة: حسان كشاش.

الموسيقى: صافي بوتلة، سليم دادة، حميد جمعي.

تاريخ الصدور: 2008.

الدولة: الجزائر.

قدم **أحمد راشدي** في هذا الفيلم ولمدة 163 دقيقة سيرة الشهيد، مبتدئا فيلمه **مصطفى بن بولعيد** بمشهد معركة مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية (اللقطة 1)، ليعود بعد ذلك إلى الجزائر (اللقطة 2)، وينضم سريعا إلى أكبر الأحزاب الوطنية ليكتشف بعد ذلك مع رفاقه الشباب أن الحزب لم يعد يلبي طموحاتهم في الثورة المسلحة ضدّ الوجود الفرنسي، وبعد عدة مشاكل مع **مصالي الحاج** (اللقطة 3+4)، يؤسس بمعية رفاقه (**محمد بوضياف**، **العربي بن مهيدي**، **ديدوش مراد**، **كريم بلقاسم**، **راجح بيطاط**) **جبهة التحرير الوطنية الجزائرية** (اللقطة 5) ويفجّرون الكفاح المسلح في 1 نوفمبر 1954. وبعد أن يلقى عليه القبض في الحدود التونسية الجزائرية، يبدأ القسم الثاني للفيلم حيث يدخل إلى السجن التونسي ثم يحوّل إلى سجن جزائري كان يضمّ منتظري حكم الإعدام، فيقدم الفيلم مشاهد طويلة لمحاولات الفرار من السجن وينجح مع مجموعة صغيرة من رفاقه في الهرب بعد أن حفرُوا نفقا... يعود هو ورفيق له إلى الجبال ليواصل النضال. وينتهي الفيلم بمقتله بطريقة غامضة عن طريق قنبلة وضعت في جهاز لاسلكي فرنسي.



اللقطة 1 -4 و 13ثا- (لقطة جماعية) اللقطة 2 - 7 و 18 ثا- (لقطة مقربة صدر)
مصطفى بن بولعيد يمين الصورة



اللقطة 3 - 13 و 37ثا- (لقطة مقربة صدر) اللقطة 4 -19 و 07 ثا- لقطة كبيرة
على اليمين مصالي الحاج يقابله ليمين دباغين



اللقطة 5 -46 و 50ثا- لقطة بانورامية من اليمين إلى الشمال (محمد بوضياف، مصطفى بن بولعيد، ديدوش مراد، كريم بلقاسم، رابع بيطاط).

حاول أحمد راشدي من خلال هذا الفيلم أن يوثق لسيرة البطل الشهيد **مصطفى بن بولعيد** بمعنية كاتب السيناريو **الصادق بخوش**، لكنهما تركا العديد من الثغرات التي تجعل المشاهد يطرح جملة من التساؤلات عن طريقة التناول شبه السطحي لهذه الشخصية الفاعلة في مجال النضال السياسي والعسكري الثوري، حيث يبين المخرج منذ بداية الفيلم بعض المحطات المركزية من حياته، اللهم إلا اللقطات التي يظهر فيها **مصالي الحاج** (راشدي هو أول من أظهر **مصالي الحاج** على الشاشة) مبرزاً بذلك الصراع الذي دار بين قادة الأحزاب حول الإستعمار الفرنسي، وإلزامية الثورة باعتبارها حلاً نهائياً. لكن بعد ذلك يجد المشاهد نفسه أمام مشاهد داخلية لجملة من الاجتماعات لمجموعة من الشباب الثائر (القادة الستة للثورة) يتقدمهم **السي مصطفى** بغية تفجير الثورة، موظفاً في ذلك سلسلة من الخطابات السياسية بلقطات (قريبة، بانورامية، جماعية، اللقطة واللقطة الضد..) دون مصاحبة موسيقية قد تنير وتشوق المتلقي لما سينجر عن هذه الاجتماعات الهامة في تاريخ الثورة الجزائرية (الثورة التحريرية). وبعد ذلك يظهر مشهد لمعركة صغيرة جداً مقارنة بالمعارك التي ألفناها في السينما الثورية الجزائرية نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، ومعارك الأفلام الحربية العالمية.

لينتقل بنا المخرج إلى مشهد آخر يبرز فيه سفر **السي مصطفى** إلى تونس وإلقاء القبض عليه في الحدود الجزائرية التونسية، ليسجن فيلمه لمدة الساعة تقريباً من 10د/ إلى حدود الساعة 2 و8د من زمن الفيلم (اللقطة 6+7+8)، في مشهد طويل جداً أثر على سيرورة أحداث الفيلم، ساجناً بذلك المشاهد في موضوعة البحث عن فرار **السي مصطفى** ورفاقه السجناء المحكوم عليهم بالإعدام في محاولة لايجاد طريقة للهروب



اللقطة 7 - 1 سا و 27 - لقطة مقربة صدر



اللقطة 6 - 1 سا و 24 - اللقطة الضد



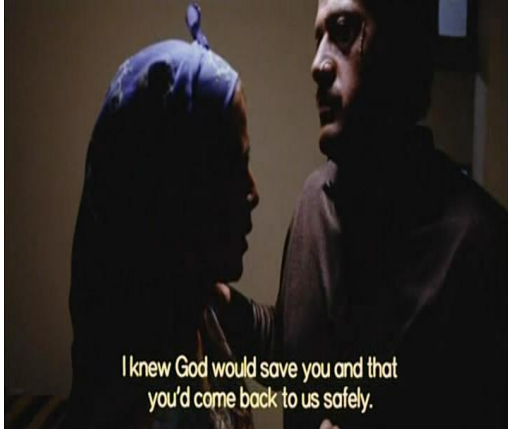
اللقطة 8 - 1 سا و 56 - لقطة جماعية

من خلال حفرهم نفقا يخرجهم من السجن، ليلتحقوا بالعمل المسلح. هذا الخلق المشهدي وضع الفيلم في زمكة ضيقة، في حين أن السينما تعطي للمخرج مخرجاً وحولاً فنية يتجاوز من خلالها هذا التضييق غير المعتاد في فن السينما، إذ نجده يتخلص من المشاهد الخارجية على حساب مشهد داخلي (السجن). وربما وجد كاتب السيناريو لنفسه مبرراً ألا وهو القبض على **بن بولعيد** في بدايات الثورة واستشهاده في بواكير الثورة التحريرية، ولكن رغم هذا لا أجد المبرر لمخرج الفيلم والذي أرى أن رؤيته الفنية ضاقت في هذا المشهد الطويل. ويكفي الاستشهاد هنا بفيلم **القلعة الأخيرة** Le Dernier Château للمخرج **رود ليري Rod Lurie** (2001)، حيث صوّرت كل مشاهد الفيلم داخل السجن وباحته، هذا الفيلم الذي يحكي الصراع بين سجناء ومأمور سجن عسكري، حيث يتم إحضار الجنرال **إيروين** للسجن بعد محاكمة عسكرية، هذا الأخير الذي يتحدى العقيد رئيس المؤسسة العقابية، على المعاملة التي لقيها السجناء. وبعد حشد وتعبئة شاملة، يقود الجنرال السابق انتفاضة تهدف إلى السيطرة على السجن في مشاهد ملحمية قلماً شهداها فيلم هوليوودي بتلك الدينامية والحركة التي تعانق روعة الإبداع.

أدخل المشاهد إلى فيلم **راشدي** بعيون السيرة إلى السجن حيث الرتابة واقتقاد المخرج لوسائل سينمائية تعطي دينامية للفعل دراماتيكية. وفصل المشاهد عن الملحمية الثورية المتميزة بالحركة واتساع الأفق التقني لوسائل السينما. كانت الثورة بعفوانها تشتعل خارجاً، وكنا نغيب مسجونين في أطر مشهدية غلبت حرفة السيرة على التناول الإبداعي السينمائي. ولم يعد **بن بولعيد** محمولاً في الزمن الثوري بحيث نشاهده عبر عيون الثورة، وإنما صار يفرض زمناً رتيباً بعيون **بن بولعيد** المسجون. كان على الأجداد: **أحمد راشدي** أن يبدع فيلماً ثورياً نرى فيه قوة الثورة الجزائرية الشعبية وهي تجرف **بن بولعيد**، لا **بن بولعيد** والثورة تنجرف إليه، لأنه جزء من الثورة، والثورة مد شامل.

عودة إلى فيلم **مصطفى بن بولعيد** نسجل في المشاهد الأخيرة فرار **السي مصطفى** وبعض الرفقاء من السجن للعودة إلى النضال والعمل المسلح، بعدما مرّ المخرج بمشهادين: الأول، عندما وصل هو ورفيق له عند إحدى القرويين (اللقطة 9) في دشرة بعيدة وارتاحا حتى حلول الظلام ليتسلا بعد ذلك إلى بيت أخت **السي مصطفى** في مشهد ثان، أين يحضن أخته ويكتفي بالنظر إلى زوجته وتفقد أبنائه وهم نيام في مشهد يبدو لي بارداً جداً، لأن **بن بولعيد** قبل أن يكون مناضلاً وقائداً لجيش التحرير هو إنسان يمتلك أحاسيس البشر، وأنا أعيب كثيراً على المخرج تصويره المشهد بهذه الطريقة الجوفاء (اللقطة 10)، فكان يستطيع أن يلمح مثلاً عن علاقته بعائلته وهو الذي عرف بحبه الكبير لزوجته... لينتهي المخرج فيلمه بمشهد خارجي يضمّ تشاور القيادة حول رجوع **السي مصطفى** وعن قانون الجبهة والصراع الذي دار بينهم حول الزعامة في منطقة **الأوراس** (اللقطة 11). ويمر بنا **راشدي** مباشرة إلى المشهد الأخير ومقتل البطل الشهيد **بن بولعيد** (اللقطة 12)، حيث اعتبرت نهاية الفيلم ضعيفة

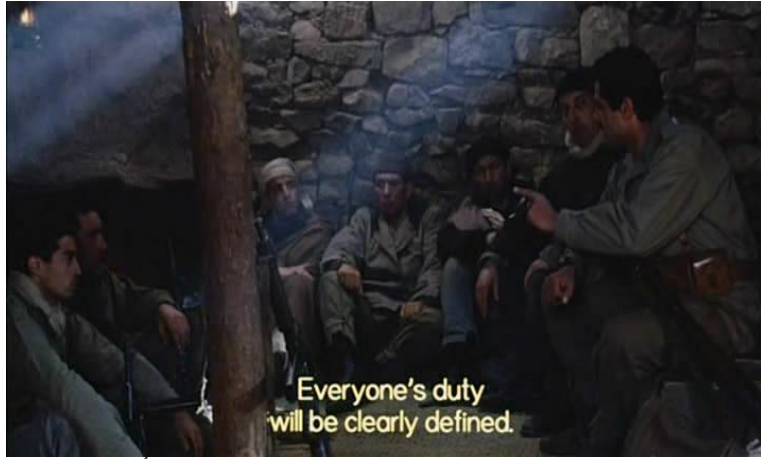
جدا، خصوصا مع انتهائه بعويل وصراخ المجاهدين على استشهاده، والمعروف عن الاستشهاد والشهيد قول الله أكبر وإنشاد بعض الأناشيد الثورية التي يدور موضوعها حول الشهيد... لا عويل الرجال.



اللقطة 10 - 2 سا و 23 د- لقطة مقربة صدر



اللقطة 9- 2 سا و 15 د- لقطة بانورامية من اليمين نحو اليسار



اللقطة 11 - 2 سا و 31 د- لقطة جماعية/ الزوم إلى الأمام



اللقطة 12 - 2 سا و 51 د- لقطة مقربة

بيّن هذا الفيلم سيرة البطل **مصطفى بن بولعيد**، فقد وفق **راشدي** والسيناريست **الصادق بخوش** نسبيا في إظهار مسيرته النضالية وكفاحه الدائم ضدّ العدو فرنسا، لكنهما غيّبا جرائمها وتواجدها في أرض الجزائر وسلّطا الضوء على حياة الشهيد متناسيين بذلك أن ظهور **السي مصطفى** كبطل تقابله فرنسا المغتصبة لأرض أجداده.

وهنا أختتم بحثي بطلب المخرج **أحمد راشدي** النصيحة من السينمائي **إيليا كازان** (***) فرد عليه بالقول: "أن تحلى بالصبر وتتقن فن الانتظار، أن تكون قادراً على اختزال السيناريو بثلاث جمل، أما النصيحة الثالثة فهي التوقف عن العمل في السينما في اللحظة المناسبة إن استطعت". لعل **راشدي** عمل بالنصيحتين الأولى والثانية، لكن الثالثة كانت صعبة على رجل عشق السينما، وصرّح ذات مرة قائلا: "...ليشتغل السينمائيون الجزائريون بلا توقف..."⁽⁴⁾، **فراشدي** الذي ألف العيش مع أزلمات السينما، وعقباتها، وجنونها... وقضى سنوات في دراستها، ومتابعتها، هو واحد من رواد السينما الجزائرية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال إسهاماته لدى الحديث عن تاريخ السينما الجزائرية ورموزها.

الهوامش:

- 1- فيلم **مصطفى بن بولعيد** لأحمد راشدي
- 2- ينظر: www.marefa.org مصطفى بن بولعيد/ موقع المجاهدين.
- * **مصالي الحاج**: (1898 - 1974)، زعيم وطني جزائري كان واحد من المطالبين بالاستقلال عن فرنسا منذ العشرينات، وهو مؤسس الحزب السياسي الوطني **نجم شمال إفريقيا** الذي تحوّل إلى **حزب الشعب الجزائري**، ثم إلى **حركة انتصار الحريات الديمقراطية** وأخيرا **حزب الحركة الوطنية الجزائرية**. مات بفرنسا في 3 جوان 1974م.
- 3- ينظر: محمد عباس، ثوار عظماء، شهادات 17 شخصية وطنية، الجزائر، دار هومة للطباعة والتوزيع، ص. 38.
- ** **أحمد راشدي**: أحمد راشدي مخرج وكاتب سيناريو جزائري (1938 سينمائي جزائري، بعد من بين أهم المرجعيات السينمائية الوطنية، أسس في تبسة مسقط رأسه سنة 1957 مجمع **فريد** أول وحدة سينمائية تابعة لحزب جبهة التحرير الوطني في الولاية الأولى أيام حرب التحرير، وقد كانت تضم: **رونيه فوتيهيه، محمد قناز، جمال شندرلي وأحمد راشدي**. سافر إلى تونس بعدها لتعميق تجربته السينمائية، كما شغل عدة مناصب في مجال السينما والسمعي البصري. أنتج عدة أفلام كـ **عودة الابن الضال** إخراج **يوسف شاهين** ومن بين أهم أفلامه: فيلم **الأفيون والعصا** 1969، الطاحونة 1985، **مصطفى بن بولعيد** 2007.
- Achour Cheurfi, Dictionnaire du cinéma algérien et des films étrangers sur l'Algérie, Alger, Casbah Editions, p.526-527.
- *** **إيليا كازان**: (1909-2003) منتج ومخرج مسرحي وسينمائي أمريكي من أصل يوناني. ولد في **إسطنبول** وهاجرت عائلته في صغره إلى **الولايات المتحدة الأمريكية**. حاز على جائزة الأوسكار مرتين كأفضل مخرج ورشح للجائزة مرتين أخريتين.
- 4- أحمد راشدي، وضعية السينما الوطنية، مجلة شاشتان (الإذاعة والتلفزة الجزائرية)، ع: 18، نوفمبر 1979، ص. 32.